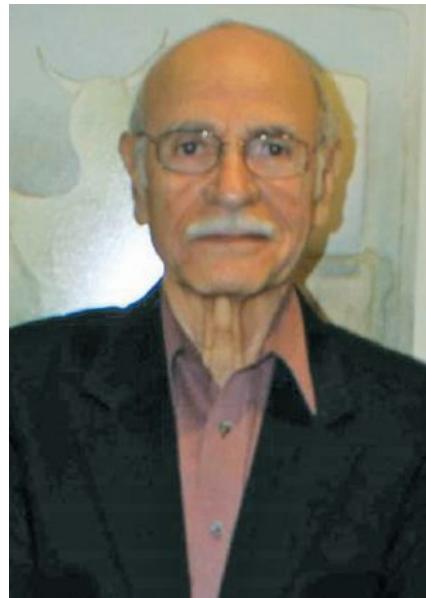


سعدي الكعبي: نشأت في النجف وتأثرت بالفن العراقي القديم



النسخة: الورقية - دولي

(الثلاثاء، ١٣ يونيو/حزيران ٢٠١٧ - ٠٠:٠٠ - بتوقيت غرينتش)

آخر تحديث: الثلاثاء، ١٣ يونيو/حزيران ٢٠١٧ (٠٠:٠٠ - بتوقيت غرينتش)

ياسر سلطان

سعدي الكعبي من أبرز الفنانين العراقيين الذين استلهموا الموروث الحضاري لبلادهم، فانعكس في معاجاته للأسطح أو صياغاته للعناصر التي استخدماها من شخص إلى كتابات وعلامات ورموز ذات إيحاء. من الكعبي ينبع عطافات إبداعية لم تخل من قرارات حاسمة وفحائية، من بينها ما أقدم عليه في متصف ثمانينيات القرن الماضي حين جمع كل ما لديه من أوراق وكتابات تخص فنه وأحرقها، لأنه خاف - كما يقول - من الإحساس الزائف بالتميز والعيقرية الذي تكرسه الكتابات والمقالات التي كادت تصيبه بالعجز والشلل الفني. يقول سعدي الكعبي أنه حين تخلص من هذه الكتابات والمقالات التي تجمعت لديه طوال ثلاثين عاماً شعر بأنه أحرق الصورة المثالبة التي رسمت له، ووجد نفسه جالساً أمام مساحة اللوحة كما كان في بداياته الأولى، حراً طليقاً. يقيم الكعبي حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية التي استقر فيها بعد خروجه من العراق عام 2005 ومن هناك يواصل ممارسة فنه غير منفصل عن الواقع العراقي والعربي في شكل عام. أخيراً نظمت قاعة إبداع للفنون في القاهرة معرضاً لأعمال سعدي الكعبي ضمن مجموعة كبيرة من أعماله التصويرية والغرافييكية. أقيم المعرض تحت عنوان «خطاب الصمت»، وهو يفسح المجال للتعرف إلى ملامح تجربته الإبداعية التي وصفها الفنان العراقي ضياء العزاوي بأنها «منحازة لبناء عمل لوسيوني غاية في الاقتصاد، يمنحها طاقة غنية للتأويل، ومساحة واسعة في التفسير، وفي الوقت نفسه تمنحه تميزه الواضح في التجربة العراقية».

عن تأثيره بالموروث العراقي ومحيطه البيئي يقول الفنان سعدي الكعبي: «الموروث الحضاري والثقافي لأي شعب يسري في دمائه، ويوجّه كوانه الإبداع الذي تصلقه الرواية والثقافة البصرية. ولقد مررت بالعراق ما يزيد على ست حضارات أشهدها سومر وبابل والحضارة الأكادية وأشور ثم الإسلام. وتتخلل هذه الحضارات موجات استيقاظ تأثيراً على الإنسان، ولا يمكن من قرأ هذا التاريخ الطويل إلا أن يعترض بانتقامه إلى هذا الوطن، الفن العراقي القديم يتميز بالمواجهة، حيث نجد الأشخاص يتوجهون دائمًا إلى الآباء سواء كانوا ملوكاً أو أفراداً عاديين. وهناك عنصر يميز المنحوتات العراقية وخاصة في حضارة بابل وهو الحالة السحرية التي تسسيطر على ملامح الوجه وبخاصة العيون الواسعة التي تنظر إلى ما وراء الأفق، وهذه الحالة من الصعب مشاهدتها في الأعمال الفنية الحديثة على رغم كونها من المفاهيم الأساسية التي تدور حولها. في أعماله حاولت أن أتمثل تلك الحالة من دون أن أقع في شرك التقليد، لذا لم أرسم العيون وهي أبرز ما يميز هذه المفردات، بل حاولت أن أتمثل هذه الحالة السحرية في أشياء أخرى ربما تراها في التركيبات أو الدرجات اللونية أو علاقة المفردات ببعضها داخل اللوحة».

وبنـيـفـ: المـتأـمـلـ لـأـعـمـالـ يـلاـحـظـ أـنـ هـنـاكـ سـمـاتـ نـحـتـيةـ تـبـدوـ وـاـضـحةـ، وـهـوـ مـنـحـىـ لـأـسـتـطـيعـ أـنـ أـفـصـلـهـ عـنـ الـفـنـ الـأـشـوـرـيـ وـمـاـ كـانـ يـتـمـيـزـ بـهـ مـنـ نـحـتـ الـعـمـلـاتـ، مـرـوـرـاـ بـتـأـثـيرـاتـ الـحـضـارـةـ الـإـسـلـامـيـةـ مـنـ خـزـفـ وـسـيـرـامـيـكـ وـخـطـ، ثـمـ الـمـؤـتـرـاتـ الـحـدـيـثـةـ وـالـمـشـارـكـاتـ الـمـتـعـدـدـةـ فـيـ الـمـهـرجـانـاتـ الـمـحلـيـةـ وـالـدـولـيـةـ.

> للـصـحـراءـ وـجـودـ قـوـىـ وـوـاضـحـ فـيـ أـعـمـالـ سـعـدـيـ الـكـعـبـيـ، فـهـيـ مـاـثـلـةـ فـيـ درـجـاتـ الـلـوـنـ وـفـيـ حـيـادـيـةـ العـنـاصـرـ وـفـيـ اـسـتـلـهـاـقـهـ لـلـعـدـيدـ مـنـ الـمـفـرـدـاتـ الـمـرـتـبـطـةـ بـهـاـ، فـمـاـ هـيـ خـلـفـيـةـ وـتـأـثـيرـ هـذـاـ الـاـرـتـبـاطـ بـالـصـحـراءـ؟

- نـشـائـتـ فـيـ النـحـفـ، وـهـيـ مـدـيـنـةـ صـحـراـوـيـةـ، يـقـلـ فـيـهـاـ التـبـاـيـنـ فـيـ الـأـلـوـانـ إـلـىـ حدـ ماـ. فـلـوـنـ الـرـمـالـ يـطـغـيـ عـلـىـ الـمـلـابـسـ وـالـبـشـرـةـ وـالـأـدـوـاـتـ الـمـسـتـخـدـمـةـ مـنـ نـحـاسـ وـفـخـارـ وـغـيـرـهـاـ. هـذـهـ الـأـشـيـاءـ تـرـكـتـ فـيـ نـفـسـيـ أـثـرـاـ بـصـرـيـاـ يـصـعـبـ مـحـوـهـ مـنـ الـذـاـكـرـةـ، وـلـاـ بـدـ لـهـ أـنـ يـقـفـزـ أـمـامـيـ عـلـىـ سـطـحـ الـلـوـحـةـ بـلـاـ وـعـيـ مـتـمـثـلـاـ فـيـ هـذـاـ الـحـيـادـ وـالـأـلـوـانـ الـرـمـاديـةـ.

> تـعـتـرـفـ نـفـسـكـ هـاـوـيـاـ، وـبـهـذـاـ الـمـعـنـىـ نـجـحـتـ فـيـ تـحـقـيقـ بـعـضـ مـاـ تـرـىـدـ فـيـ ظـلـ ظـرـوفـ ثـقـافـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ غـيـرـ مـشـجـعـةـ، لـكـنـ تـؤـمـنـ بـأـنـ الـفـنـ مـوـجـهـ إـلـىـ الـخـاصـةـ وـغـيـرـ مـتـاحـ إـلـاـ مـنـ يـسـتـوـعـ طـبـيـعـتـهـ فـمـاـ هـيـ بـوـاعـتـ هـذـهـ الـقـنـاعـةـ؟

- الـفـنـ يـحـتـاجـ إـلـىـ ثـقـافـةـ لـاستـيـعـابـهـ، فـحـينـ تـسـأـلـ الشـخـصـ هـلـ تـعـرـفـ بـيـكـاسـوـ يـقـولـ لـكـ نـعـمـ، وـحـينـ تـرـىـهـ صـورـةـ لـبـيـكـاسـوـ لـاـ يـفـهـمـهـاـ، لـذـاـ يـجـبـ الـتـفـرـقـةـ بـيـنـ مـعـرـفـةـ الشـيـءـ وـفـهـمـهـ أـوـ اـسـتـيـعـابـهـ، وـكـذـلـكـ الـمـوـسـيـقـىـ يـجـبـ عـلـىـ الـمـتـلـقـيـ لـهـاـ أـنـ يـكـونـ لـدـيـهـ خـرـيـنـ سـمـعـيـ. فـالـفـنـ يـحـتـاجـ إـلـىـ وـعـيـ وـثـقـافـةـ وـمـعـرـفـةـ بـهـوـيـةـ الـعـمـلـ الـقـنـيـ.

> أـلـاـ تـعـتـقـدـ أـنـ فـيـ هـذـاـ القـوـلـ شـيـئـاـ مـنـ الـتـعـالـيـ عـلـىـ الـمـتـلـقـيـ وـالـجـمـعـ؟

- الـلـوـحـةـ لـاـ يـفـهـمـهـاـ إـلـاـ مـنـ لـهـ دـرـاـيـةـ وـثـقـافـةـ، فـالـخـاصـةـ مـنـ النـاسـ هـمـ الـذـيـنـ يـسـتـطـيـعـونـ فـهـمـ الـعـمـلـ الـفـنـيـ، وـهـوـ لـيـسـ تـعـالـيـاـ وـلـكـنـ هـذـهـ هـيـ الـحـقـيـقـةـ.

> هلـ يـجـبـ أـنـ يـعـبـرـ الـعـمـلـ الـفـنـيـ عـنـ هـوـيـةـ الـفـنـانـ؟

- نـعـمـ يـجـبـ أـنـ يـحـمـلـ الـعـمـلـ هـوـيـةـ مـاـ وـإـلـاـ كـانـ مـنـفـصـلـاـ عـنـ تـجـربـةـ الـفـنـانـ. أـنـاـ أـسـتـطـيـعـ التـعـرـفـ إـلـىـ هـوـيـةـ الـفـنـانـ مـنـ خـلـالـ أـعـمـالـهـ. قـدـ تـمـتـّـلـ هـذـهـ الـهـوـيـةـ مـنـ خـلـالـ الـمـوـرـوثـ الـحـضـارـيـ، وـفـيـ أـعـمـالـيـ تـسـتـطـيـعـ أـنـ تـلـمـحـ ذـلـكـ عـبـرـ رـوـحـ النـحـتـ الـبـارـزـ مـثـلاـ، وـهـوـ أـمـرـ كـانـ مـوـجـودـاـ فـيـ الـعـرـاقـ مـنـذـ بـدـأـيـةـ الـحـضـارـةـ السـوـمـرـيـةـ إـلـىـ الـأـشـوـرـيـةـ. هـنـاكـ الـكـثـيـرـوـنـ مـمـنـ يـقـعـونـ فـيـ ذـلـكـ الـفـخـ وـيـقـلـدـوـنـ الـمـدـارـسـ وـالـأـتـجـاهـاتـ الـجـاهـزـةـ مـنـ دـوـنـ مـحاـوـلـةـ لـلـإـيـجادـ خـصـوصـيـةـ، لـإـرـضـاءـ الـجـمـهـورـ أـوـ مـغـازـلـةـ الـغـرـبـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ.

> هلـ يـنـتـقـصـ مـنـ الـفـنـانـ أـنـ يـكـونـ مـتـأـثـرـاـ بـثـقـافـةـ أـخـرـىـ؟

- لـاـ يـنـتـقـصـ مـنـهـ بـالـطـبـعـ، وـلـكـنـ عـلـيـهـ أـنـ يـنـتـقـلـ مـنـ مـحـلـيـتـهـ أـوـلـاـ إـلـىـ آـفـاـقـ مـخـتـلـفـةـ. هـنـاكـ فـنـانـوـنـ كـيـارـ مـنـ أـمـثالـ جـيـاـكـوـمـيـتـيـ وـبـيـكـاسـوـ أـخـذـوـنـاـ مـنـ الـفـنـ الـمـصـرـيـ وـالـعـرـاقـيـ، لـقـدـ اـنـطـلـقـواـ مـنـ ثـقـافـتـهـمـ، لـلـنـظـرـ فـيـ ثـقـافـاتـ الـأـخـرـيـنـ. أـذـكـرـ أـنـ أـحـدـهـمـ سـالـتـيـ ذاتـ يـوـمـ عنـ تـأـثـيرـ الـعـوـلـةـ عـلـىـ الـفـنـ الـعـرـاقـيـ، فـقـلـتـ لـهـ نـحـنـ جـمـيـعـاـ مـتـعـولـوـنـ، فـالـلـوـحـةـ غـرـبـيـةـ فـيـ هـيـئـتـهـاـ، لـكـنـهـاـ تـتـحـدـثـ بـلـغـةـ شـرـقـيـةـ. الشـكـلـ وـالـرـوـحـ يـخـلـفـانـ فـيـ الـعـمـلـ الـفـنـيـ وـهـمـاـ أـصـلـ الـهـوـيـةـ الـفـنـيـةـ. أـمـاـ مـنـ يـرـوـنـ أـنـ فـنـوـنـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ قـدـ أـزـالـتـ الـحـوـاجـزـ بـيـنـ الـثـقـافـاتـ فـهـمـ مـخـطـتوـنـ. هـنـاكـ جـدـ يـدـورـ الـآنـ بـيـنـ الـجـنـوـبـ وـالـشـمـالـ، هـمـ يـرـيـدـوـنـ أـنـ نـتـعـولـمـ لـكـنـنـاـ لـاـ يـجـبـ أـنـ نـنـسـاقـ وـرـاءـ رـغـبـاتـهـمـ. نـعـمـ هـنـاكـ الـكـثـيـرـ مـنـ الـمـفـرـدـاتـ الـتـيـ نـتـعـاـمـلـ بـهـاـ فـيـ حـيـاتـنـاـ الـعـادـيـةـ جـاءـتـ مـنـ الـقـرـبـ وـلـاـ نـسـتـطـيـعـ الـاستـغـنـاءـ عـنـهـاـ إـلـاـ أـيـنـاـ حـيـنـ نـتـعـاـمـلـ مـعـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ لـاـ يـجـبـ أـنـ نـدـعـهـاـ تـتـمـلـكـنـاـ بـلـ يـجـبـ أـنـ نـمـلـكـهـاـ نـحـنـ وـنـضـفـيـ عـلـيـهـاـ شـيـئـاـ مـنـ حـضـارـتـنـاـ وـتـقـافـتـنـاـ وـهـوـيـتـنـاـ. هـمـ يـقـلـوـنـ أـنـ الـعـالـمـ أـصـبـحـ قـرـيـةـ صـغـيرـةـ وـلـيـسـ هـنـاكـ مـجـالـ أـوـ صـرـوـرـةـ لـلـتـمـسـكـ بـالـهـوـيـةـ وـالـثـقـافـةـ الـمـلـحـيـةـ، وـأـقـلـوـنـ أـنـ الـعـالـمـ كـبـيرـ وـنـحـنـ تـأـهـلـوـنـ فـيـهـ وـلـاـ يـدـرـيـ بـنـاـ أـحـدـ. وـقـدـ يـبـرـيـ الـبـعـضـ أـنـ هـذـهـ نـظـرـةـ مـتـخـلـفـةـ أـوـ قـصـيـرـةـ إـزـاءـ الـثـقـافـةـ وـلـكـنـيـ مـؤـمـنـ بـأـنـهـاـ ضـرـورـةـ مـلـحـةـ بـخـاصـةـ فـيـ أـيـامـنـاـ هـذـهـ. أـنـاـ إـنـسـانـ شـرـقـيـ أـوـمـنـ بـالـعـائـلـةـ وـالـأـرـضـ وـالـعـشـيرـةـ وـلـيـ سـمـاتـيـ الـخـاصـةـ الـتـيـ تـمـيـزـنـيـ وـالـتـيـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ أـتـنـصلـ مـنـهـاـ.

علىـ مـسـتـوـيـ الـفـنـ أـحـرـصـ عـلـىـ مـتـابـعـةـ الـمـعـارـضـ وـالـأـتـجـاهـاتـ الـفـنـيـةـ فـيـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ، وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ، أـتـحـاشـيـ الـذـوـبـانـ فـيـ الـأـخـرـ. تـلـمـحـ ذـلـكـ فـيـ أـعـمـالـيـ الـتـيـ لـاـ أـقـلـدـ فـيـهـاـ أـحـدـاـ أـوـ أـتـمـسـحـ فـيـ ثـقـافـةـ أـخـرـىـ.

> كـيـفـ تـنـظـرـ إـلـىـ الـحـرـكـةـ الـفـنـيـةـ الـعـرـاقـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ عـمـومـاـ؟

- الـحـرـكـةـ التـشـكـيلـيـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ مـخـاـضـ، وـهـذـهـ لـاـ يـأـتـيـ إـلـاـ بـالـاسـتـقـرـارـ الـاـقـتـصـادـيـ الـمـرـتـبـ بـالـحـالـةـ الـسـيـاسـيـةـ. فـيـ ظـلـ الـاسـتـقـرـارـ الـمـلـاـيـدـ يـمـتـلـكـ الـفـنـانـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ التـوـسـعـ وـالـاـنـتـشـارـ. الـضـغـوطـ تـؤـثـرـ فـيـ إـبـادـعـ الـفـنـانـ بـالـسـلـبـ بـخـاصـةـ الـمـادـيـةـ مـنـهـاـ. الـحـرـكـةـ التـشـكـيلـيـةـ الـعـرـبـيـةـ أـكـثـرـ تـقـدـمـاـ مـنـ الـحـرـكـةـ الـنـقـديـةـ، الـتـيـ لـاـ تـتـعـدـىـ الـمـقـالـاتـ أـوـ الـتـقـارـيرـ الصـحـافـيـةـ. الـكـثـيـرـ مـمـنـ يـكـتـبـونـ عـنـ الـفـنـ لـاـ يـرـوـنـ فـيـهـ غـيـرـ الـمـساـوـيـ وـالـسـلـبـيـاتـ. أـنـاـ أـوـمـنـ بـشـبـابـ الـفـنـانـيـنـ الـعـرـبـ وـلـدـيـ قـنـاعـةـ بـأـنـهـ حـيـنـ يـرـفـعـ الـغـطـاءـ عـنـهـمـ سـيـغـيـرـوـنـ الـوـاقـعـ الـمـرـيـرـ الـذـيـ تـعـيـشـهـ. حـضـارـتـنـاـ عـرـيقـةـ لـاـ تـهـزـمـ أـبـدـاـ لـكـنـنـاـ مـهـزـوـمـوـنـ مـدـنـيـاـ وـتـكـنـوـلـوـجـيـاـ، وـعـلـىـ كـلـ مـنـاـ أـنـ يـبـدـأـ وـيـثـقـ بـمـاـ يـسـتـنـدـ إـلـيـهـ مـنـ ثـقـافـةـ وـحـضـارـةـ ضـارـبـةـ فـيـ عـمـقـ الـتـارـيـخـ.

> مـنـ مـنـ الـفـنـانـينـ كـانـ لـهـ التـأـثـيرـ الـأـبـرـزـ عـلـىـ تـجـربـتـكـ؟

- تـأـثـرـتـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ بـأـسـاتـذـتـيـ فـيـ كـلـيـةـ الـفـنـونـ الـجـمـيـلـةـ ثـمـ بـأـيـدـاعـاتـ الـفـنـانـيـنـ الـعـالـمـيـنـ إـلـىـ أـنـ وـصـلـتـ إـلـىـ درـجـةـ مـنـ الـأـسـتـقـرـارـ وـالـخـصـوصـيـةـ. الـفـنـانـ الـعـرـاقـيـ إـسـمـاعـيـلـ فـتـاحـ الـتـرـكـ هوـ الـأـقـرـبـ إـلـىـ قـلـبيـ وـأـعـتـبـرـهـ مـنـ أـعـظـمـ الـفـنـانـيـنـ الـعـرـاقـيـنـ عـلـىـ الـإـطـلـاقـ لـمـاـ كـانـ يـتـمـيـزـ بـهـ مـنـ عـبـرـيـةـ وـخـصـوصـيـةـ فـرـيـدةـ فـيـ تـنـاـوـلـهـ لـأـعـمـالـهـ الـمـتـعـدـدـةـ.

> كـيـفـ تـبـدـأـ الـعـمـلـ فـيـ الـلـوـحـةـ؟

- أـحـيـانـاـ تـكـوـنـ عـنـدـيـ رـغـبـةـ فـيـ الـعـمـلـ، فـيـصـيـبـنـيـ الـقـلـقـ، وـأـدـرـكـ جـيـنـهـاـ أـنـ هـذـاـ قـلـقـ فـنـيـ، وـقـدـ تـكـوـنـ الـفـكـرـةـ جـاهـزةـ وـمـخـتـمـرـةـ فـيـ ذـهـنـيـ قـبـلـ الـجـلوـسـ أـمـامـ الـلـوـحـةـ، وـأـحـيـانـاـ أـخـرـىـ تـأـتـيـنـيـ الـفـكـرـةـ أـمـامـ مـسـاحـةـ الـرـسـمـ. الـفـنـانـ عـادـةـ عـنـدـمـاـ يـبـدـأـ الـعـمـلـ الـفـنـيـ يـبـدـأـ بـوـعـيـ، يـجـهـزـ نـمـوذـجـاـ أـوـ رـسـماـ سـرـيـعاـ، يـقـرـبـ مـنـ الـعـمـلـ وـيـبـتـعدـ،

يتالق، يرفض أو يقبل أشياء. وأعتقد أن الفنان يحتاج في أثناء العمل إلى أن يكون في غيبوبة واعية، وأشبهها بسائق السيارة، حين يقود سيارته على غير هدى ولا يعرف أين يذهب. في أثناء العمل تصبح اللوحة متالقة والفنان متالقاً أيضاً، ولكن تبقى اللوحة متالقة ويعود الفنان إلى طبيعته، فاللوحة أبقي من الفنان. الفنان متغير الوضع أما اللوحة فهي ثابتة.

> كيف أثرت الغربة في تجربتك، وهل وجودك في مجتمع مختلف ثقافياً كان له تأثير في نظرتك للفن؟
- العالم قرية صغيرة، وأستطيع بسهولة أن أتحرك بين الشرق والغرب في أيام قليلة، فوجودي في مكان بعيد من الوطن ليس له تأثير في تجربتي، ولكن له تأثير في مشاعري وإحساسني، فأنا في أميركا في أمان عقلي، ولكن أمني النفسي هو مع جيراني وأحبابي، وأنا شخص أشعر بأنني أركب قطاراً منذ خروجي من بغداد ولم أصل بعد إلى نهاية الطريق.